حقيقة الوحي والنبوة والمعجزات في فلسفة الدين

أ.م. د. إحسان علي عبد الأمير
جامعة بغداد – كلية الآداب
قسم فلسفة

الباحثة :
لينه مثنى عدنان

الملخص:

حاولنا في هذا البحث تسليط الضوء على أحد الموضوعات الرئيسة التي تعالجها فلسفة الدين، وهي الوحي، والنبوة، والمعجزات، وسأركز في هذا البحث على أبرز من عُني بدراسة هذا الموضوع من الكتّاب العرب المعاصرين، وهم كل من: أديب صعب، محمد عثمان الخشت، مصطفى النشار. والسؤال المحوري الذي سنطرحهُ في البحث هو: هل أن الوحي أمر ممكن؟ وهل أن النبوة متربطة ارتباطاً ضرورياً بالوحي؟ وما المعجزات؟ وما علاقة الوحي والنبوة بالمعجزات؟ وهل أن المعجزات أمر مقتصر على الأنبياء فقط؟ أم غير ذلك؟ نجد إن أديب صعب يثبت مسألة الوحي عن طريق بيان نوعية الخطاب الإلهي الموجه للبشر عن لسان الله، وفيما يخص مسألة المعجزات في رأي أديب صعب أن المعجزات (العجائب) ما هي إلا القانون الطبيعي ذاته. ونجد الخشت يوافق على الرأي القائل أن الوحي والنبوة أمر ممكن الحصول، فلا توجد استحالة منطقية في مخاطبة الله لمخلوقاته، وإن اختلفت نوعية الخطاب الموجه من الله لمخلوقاته، إما بالنسبة لمسألة المعجزات فيذهب الخشت إلى القول بأن المعجزات ليست خلقاً للقانون الطبيعي، وإنما هي خرق للعادات المألوفة في التعامل مع الطبيعة، وفي حين نجد النشار يذهب إلى تأييد مسألة الوحي ولكن ينبه إلى ضرورة التمييز بين الوحي في الأديان التوحيدية وبين الرؤى التي يلقيها الحكماْ. إما بالنسبة لمسألة المعجزات فيجد النشار إما أن تكون سبباً لأثبات نبوة نبي ما، أو اثبات حكمة ما، فالمعجزات ما هي إلا فعل الله في الطبيعة وأن لم نفهمه الآن لربما نفهمه غداً، ولهذا يرى النشار بأن لا ضرورة منطقية من ارتباط الوحي بالنبوة وارتباط الاخيران بالمعجزات.

المقدمة:

تشكل كل من الوحي والنبوة والمعجزات أحد الموضوعات الرئيسة التي تعالجها فلسفة الدين، وتعد أيضاً من العناصر المشتركة بين الديانات السماوية وبعض الديانات الوضعية. وسأتناول في هذا البحث معنى الوحي لغةً واصطلاحاً وأنتقل إلى رؤية الكتَّاب العرب المعاصرين في هذهِ المسألة، ومن ثم سأنتقل إلى تبيان معنى النبوة، وهل لها علاقة بالوحي؟

وهل لمسألة الوحي والنبوة ارتباط بالمعجزات؟ وكل هذا سوف يتضمن رؤية الكتّاب العرب المعاصرين.

الإطار اللغوي لمفهوم الوحي: الوحي كما نجده في لسان العرب هو: "الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي"(١). فالوحي هو الإخبار والإعلام بخفاء بطريقة من الطرائق ووسيلة من الوسائل. الوحي أيضاً "الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمرٌ وحي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة بعض الجوارح، وبالكتابة"(٢). وأيضاً " كل ما ألقيت إلى غيرك فعلمهُ فهو وحي"(٣).

الإطار الاصطلاحي لمفهوم الوحي: يمكن تعريف الوحي بشكل عام والذي يخص الأنبياء، وهو رسالة الله لأنبيائه وتبليغهم بكل ما يجب عليهم عمله من أجل هداية المجتمع الإنساني إلى الله عبر الوسائل المتعددة " فالوحي هو كلام اللّه المنزل على نبي من أنبيائه"(٤). أما عند الفلاسفة فيميلون إلى تجريد عملية الوحي من طابعها الحسي ويقولون الوحي: "اتصال النفس الإنسانية بالنفس الفلكية، اتصالاً، روحياً، فترتسم لديها صور الحوادث، وتطلع بهذا الاتصال على عالم الغيب"(٥). ويرى الفلاسفة أن للأنبياء استعداداً خاصاً وفطرة خاصة تؤهلهم لهذا الاتصال، وهذا الاستعداد والفطرة تبلغ عند الأنبياء ما لا تبلغهُ عند غيرهم، حتى من الأولياء والعارفين(٦).

الإطار اللغوي لمفهوم النبوة: النبوة مشتقةٌ من النبأ، وهو الإخبار، وأيضاً تأتي بمعنى العلو والارتفاع(٧).

الإطار الاصطلاحي لمفهوم النبوة: إن النبوة هي منصب إلهي لا ينال بالسعي، بل الله هو من يؤتيها لمن يشاء؛ لأن الله أعلم حيث يجعل رسالتهُ، ورسالة الله ذات شرائط خاصة لا يعلمها إلا، هو ولا يوكلها إلا لمن يشاء، والنبوة ايضاً ما هي إلا تلقٍ للوحي واستماعه من الله من غير وسيط أو واسطة، فهي مقامٌ خاص مرتبط بالله وأحكامه الغيبية(٨).

الإطار اللغوي لمفهوم المعجزة: المعجزة "اسم فاعل من الإعجاز، تقول أعجز الشيء فلاناً، أي فاته ولم يدركه، فالمعجزة أذن ما يعجز البشر أن يأتوا بمثله"(٩).

الإطار الاصطلاحي لمفهوم المعجزة: المعجزة هي "الظاهرة المخالفة للنظام الطبيعي المألوف، إلا أن هذه الظاهرة لا تسمى عند بعضهم معجزة إلا إذا كانت فعل فاعل مختار، قصد بها إظهار أمر خارق للعادة يعجز الإنسان عن الاتيان بمثله"(١٠).

أولاً: مفهوم الوحي والمعجزات عند أديب صعب: يتناول أديب صعب مسألة الوحي عن طريق تبيان نوعية الخطاب الديني الموجه للبشر عن لسان الله، فيجده تارة خطاباً يصل إلى البشر عن طريق أُناس مختارين مثل الكهنة وأبطال الحروب، وتارةً يظهر خطاب الله عبر طبقة من البشر هم الأنبياء مثل النبي إبراهيم وموسى (عليهم السلام)، وتارةً يجده خطاباً

معلناً مباشراً يتمثل بيسوع المسيح (عليه السلام)، وتارةً يجد هذا الخطاب كلامياً على هيئة صوت مرسل من الله عبر واسطة وهو الروح القدس إلى أحد الانبياء ويتمثل هذا النوع من الخطاب في الإسلام للنبي محمد (صلى الله عليه وآل وسلم)[١١].

ويرى أديب أنه على الرغم من الاختلاف في طبيعة الخطاب والوحي الإلهي بين الأديان لكن ثمة نقاط تشابه بين هذه الخبرات وهي[١٢]:

١- إن لأصحابها علاقة خاصة بالألوهة أو بعالم الروح، هي علاقة الاختيار لنقل رسالة من الله أو من ذلك العالم إلى البشر.

٢- استسلام الرسول المختار استسلاماً تاماً لإرادة السماء.

٣- الإصرار على أن الرسالة ليست من هذا العالم، لكنها له، من أجل تحويله نحو حقيقته الالهية.

٤- رفض كُلي واسع النطاق من الناس المخاطبين لتصديق المخاطب في أنه ينقل رسالة إلهية.

٥- مثابرة أصحاب الرسالات في كسب الناس إلى الله حسب الوحي الذي ينقلونه، مهما بلغ الرفض من جانب هؤلاء والتضحية من جانب أولئك.

٦- إن مؤسس الدين يغدو المثال الأعلى لاتباعه لكي يقتدوا به في محاولتهم تحقيق رسالة الإيمان، أي وضع ذواتهم والعالم كله تحت عين الله وعنايته.

أما بالنسبة للمعجزات فيطلق عليها أديب صعب لفظ العجيبة، ويرى أن العجائب تشكل جزءاً لا يتجزأ من كل دين، فهي تتبع منطقاً واحداً الأديان كلها، وقد نسجت المخيلة الشعبية بمفهوم العجائب أحداث عدّة كلها تقع ضمن نطاق كسر المألوف أو خرق القانون الطبيعي، فمثلاً الشفاء من مرض عضال عجيبة، والقيام من الموت عجيبة، والمشي على الماء عجيبة، لذا يجد أن هناك ما يشبه الاجماع على أن العجيبة خرق للقانون الطبيعي[١٣].

ويتساءل أديب صعب هل من الممكن أن تقع العجائب ضمن الأحداث الخارقة للقانون الطبيعي؟ يمكن أن نلحظ أن أديب صعب يؤيد رؤية هيوم في رفض عَدّ العجيبة خرقاً للقانون الطبيعي؛ لأننا إذا وضعنا العجائب في هذا السياق سوف تدرج في عداد الأمور التجريبية، وهذهِ الأمور يتم تأكيدها أو نفيها في ضوء الشواهد التي يقدمها الناس بناءً على مراقبتهم الحسية، أي وفقاً التجربة ومتى ما صارت العجيبة موضوعاً للمراقبة، دخلت في عداد القانون الطبيعي وبطلت أن تكون عجيبة، إذن إن العجيبة في نظر أديب صعب باستناده لرأي هيوم مستحيلة من حيث تعريفها بالذات خرقاً للقانون الطبيعي، ولابد أيضاً لأي حدث أن يسند بشواهد كثيرة موثوقة ولاسيما لكي يصدق وتبنى عليه المعارف والنظريات[١٤]. ويعزي أديب صعب سبب عدم قول هيوم صراحةً إن خرق القانون الطبيعي مستحيل؛ وذلك

نسبة لموقف هيوم من السببية، فيرى هيوم أن فكرة الترابط الضروري بين السبب والنتيجة لا تأتي من أي انطباع حسي معين، بل تأتي من اعتيادنا عدداً كبيراً من الأحداث، وتوقعنا أن يكون المستقبل على غرار الماضي والحاضر، وهكذا تبدو العجيبة خرقاً لا للقانون الضروري بل خرقاً للمعتاد(١٥). وإذا كان خرق القانون الطبيعي مستحيلاً إذن كيف يمكننا أن نفسر العجائب؟ نجد أن أديب صعب يوجه زاوية بحثه حول العجيبة داخل الإطار الديني عكس هيوم الذي نظر إلى العجيبة من زاوية علمية، فيرى أديب صعب أن العجيبة ليست خرقاً للقانون الطبيعي بل هي القانون الطبيعي بذاتهِ، فالعجيبة إن لم تكن هي القانون الطبيعي، فكيف يمكننا أن نفسر حركة الأجرام والأفلاك في الكون؟ فالعجيبة ما دامت هي القانون الطبيعي بذاتهِ معناه إننا أدخلناها ضمن النطاق السببي، ولكن هذا النطاق لا يقل عن نطاق الفاعلية الإلهية التي هي في حد ذاتها إعجاز، إذن إن كل ما في الكون معجز من حيث ردهِ إلى الفاعلية الإلهية، أي من حيث كونه فعلاً يعجز عنه الإنسان بقدرتهِ الذاتية(١٦).

هكذا يمكن أن نفهم بأن العجيبة لا تنفصل عن السببية؛ لأن الشيء الذي وصفناه بالمعجز لا بد أن يكون له سبب يجعله معجزاً هذا السبب هو الله، ولو أمعنا النظر إلى الكون كله لوجدنا أبسط الأشياء فيه تغدو عجيبة إذا ما نظرنا اليها في ضوء الإلهي(١٧). وهذا ما يؤكده ويقصده السيد المسيح (عليه السلام) عندما قال "إن ملكوت الله لا يأتي بمراقبة العالم الخارجي، لأن الملكوت داخل النفس"(١٨). إن العالم الذي تحصل فيهِ العجائب هو عالم الله، والقانون هو قانون الله، وإن أي فعل خرق يحصل في هذا العالم لا يدل على أن الله عاجز عن منعه، بل يدل على أن الله ينبهنا على شيء ما نحن في غفلة عنه، فقد يكون المرء محدود الرؤية فيجهل قيمة الأشياء، وما إن يحدث فعل الخرق ينتبه لها ويدرك الإنسان في نهاية المطاف أن الأشياء أو الأحداث التي أطلقنا عليها لفظ عجيبة ما هي إلا جزء من عجيبة أعظم وهي العالم بأسرهِ(١٩). على حد تعبير أديب صعب، يأخذ المرء بفهم المعجز على أنه القانون الطبيعي، قبل أن يكون ما يتجاوز القانون ويصبح المعجز، وهذا هو المعنى الواسع الذي يصرح به أديب صعب، فالمعجز بحد تعبيرهِ "فعل الخلق قبل أن يكون فعل الخرق"(٢٠). ويخلص أديب صعب من كل ذلك إلى الكلام في معنى العجيبة ومغزاها، فيقول: إن العجيبة " التي لا تربط حياتنا بالمقدَّس وتجعلها حياة أفضل وأجمل وأكمل ليست عجيبة. هدف العجيبة هو أن نستشف وجه الله في كل شيء ويده على كل شيء"(٢١). وهذا التصريح لأديب صعب يتماشى مع المعنى الذي يقصده أبو زيد البسطامي فيقول: " كم من خلق لله يمشي على الماء وفي الهواء وليس لهم عند الله كبير مقدار. وليس ذلك بعجيب. إنما العجيب أسرار قلوب أوليائه التي لم يطّلع عليها أحد من الملائكة"(٢٢). إذن فإن حصول العجيبة في نظر أديب صعب لا تكمن "عندما تتحقق رغباتنا، بل عندما

نتعلم أن نمجِّد الله في كل شيء: في الصحة والمرض، في أزمنة العطاء وأزمنة الضيق، في الحياة والموت، قائلين مع صلاة يسوع: أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك، ليأتِ ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض"[٢٣].

ثانياً: مفهوم الوحي والنبوة والمعجزات عند الخشت:

هل أن الوحي أمر ممكن؟ يجيب الخشت على هذا السؤال عقلياً من خلال تفحصهِ تاريخياً مسألة الوحي والنبوة، إذ يرى أن الوحي يعبر عن تلك العلاقة التي تربط بين الإنسان الناقص مع الإله الكامل، فيظهر الوحي بأشكال متنوعة في الأديان، فهو إما أن يكون على شكل اصغاء للحقيقة الأساسية لجوهر الكون بواسطة الحكماء، وإما أن يكون على شكل إله شخصي يتصل بأشخاص يختارهم ليكونوا الناطقين بكلامه[٢٤].

فيجد الوحي في الديانة الفيدية يتمثل على شكل إصغاء وتلقٍ، واستقبال روحي للحقيقة الكونية العليا، ومن سمات هذا الوحي غير شخصاني بمعنى أنه يأتي من كينونة لا تتسم بأية سمات شخصية لأن الحقيقة الجوهرية العليا وهي براهمان ليست شخصية محددة؛ إن اللاتمايز صفة لبراهمان الإله الأعلى المحايد الذي ليس له صفات إيجابية أو سلبية، فهو غير متعين، ولا تقابله أية شخصية عينية، ومن ثم فهو لا يصلح لأن يصاغ أو يقولب من الحس أو العقل أو الحدس، ومن ثم لا يمكن التعبير عنه بلغة بشرية[٢٥]. أما بالنسبة للوحي في الديانة البراهمانية فهو أيضاً إصغاء للحقيقة العليا، ويجب التوضيح أن كل من الديانة الفيدية والبراهمانية والهندوسية ليست ديانة واحدة وإنما ديانات متتابعة، وأن كل ديانة تالية للديانة السابقة لا تلغي ما قبلها الغاءً تاماً، وإنما تكون الديانة السابقة أشبه بالعهد القديم بالنسبة للعهد الجديد[٢٦]. أما بالنسبة للديانات السماوية الثلاث (اليهودية، والمسيحية، والإسلام) فيكون الوحي على شكل إله شخصي، ففي اليهودية هي اتصال إله مع أشخاص مختارين يكونون الناطقين بكلام الإله، ففي التوراة توجد طرائق عدَّة، منها: طريقة الكلام المباشر من الله إلى الإنسان، أي الاستماع إلى كلام الله من دون رؤيتهِ، فقد اصطفى الله موسى (عليه السلام) وكلمه تكليما من دون أن يرى موسى الله. وهناك طريقة اخرى وهي حلول الإله في الإنسان وتقمص روح إنسان مختار مثل النبي صموئيل (عليه السلام) وهو أحد الأنبياء العبرانيين بعد موسى ويُعد من كبار الأنبياء الذين عرفهم التاريخ العبري ومنظماً للمملكة الاسرائيلية[٢٧]. ويطلق على هذا الأسلوب من الوحي (تنبؤ)، ويمتاز الوحي التنبؤي بتركيزهِ على أحداث الماضي والمستقبل، ومن هذه الأحداث ينكشف تدريجياً مقصد الله في التاريخ ومن ثم طبيعته[٢٨]. أما الوحي في الديانة المسيحية فيكون بحالة مختلفة وهي أن عيسى ابن مريم هو ابن الله وهذا ما يميزه عن باقي الأنبياء، إذ إن أن يسوع النصراني يعلن نفسه أكثر من أن يكون إنساناً وأكبر من أن يكون نبياً، فهو ذو طبيعة إلهية وعلاقتهُ بالله

مميزة، وهذه العلاقة يعبر عنها بلفظ (بنوة)[٢٩]. ونجد في انجيل يوحنا تفسيراً لهذه العلاقة "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان مع الله. وكان الكلمة هو الله. هو كان في البدء مع الله. به تكون كل شيء، ولغيره لم يتكون أي شيء مما تكون. فيه كانت الحياة. والحياة هذه كانت النور للبشر. والنور يضيء في الظلام، والظلام لم يدرك النور"[٣٠]. "والكلمة صار بشرا وخيم بيننا، ونحن رأينا مجده، مجد ابن وحيد عند الأب"[٣١]. يرى الخشت أن الوحي في الديانة المسيحية ليس فقط ما يقوله يسوع حسب، وإنما هو بالفعل يسوع نفسه، ولذلك يجد الخشت أن الأناجيل ما هي إلا وصف لحياة يسوع وأقواله، وكأن يسوع تحول إلى كتاب مقدس مقروء[٣٢]. أما في الديانة الإسلامية فتتعدد أشكال الوحي كالآتي[٣٣]:

١- كلام جبريل المباشر إلى الرسول، وفي الأحاديث كمجيئه لمحمد في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح، ورؤيته على كرسي بين السماء والأرض وقد سد الأفق. والملك قد تمثل رجلا في صور كثيرة كما في قصة مجيئه في صورة دِحية وفي صورة أعرابي وغير ذلك.

٢- الاتصال الخفي باندماج الملك بكيفية مجهولة ودرجة غير معلومة مع الرسول، "أحيانا يأتيني مثل صلصة الجرس وهو أشده عليَّ فينفصم عني وقد وعيت عنه ما قال".

٣- سماع كلام الله من غير رؤيته (أو من وراء حجاب).

٤- إنزال الكلام الإلهي على قلب الرسول عن طريق إلقاء في الروع.

٥- الرؤية في المنام.

وبعد التفحص التاريخي الذي أجراه الخشت في مسألة الوحي يرد على منتقدي الوحي في أن الوحي أمر ممكن عقلياً وتتلخص رؤيته في[٣٤]:

١- إنه لا توجد استحالة منطقية في أن يخاطب بعض مخلوقاته. والقول بوجود مثل هذه الاستحالة، يقتضي برهاناً يقينياً، وهو مالم يوجد حتى الآن. كما أن مثل هذه الاستحالة تستلزم المعرفة اليقينية بطبيعته وأسلوبه، وهذا غير ممكن؛ لأن طبيعة الله فوق كل ما نملك من قدرات معرفية.

٢- إمكانية الاتصال بين أطراف متباعدة بلمح البصر بطريقة غير مرئية، أمر ممكن، أو هكذا كان في الماضي، أما الآن فقد صار واقعاً حياً نعيشه بعد كل هذا التقدم العلمي الذي حدث، وسوف تصل البشرية إلى أكثر مما وصلت إليه في المستقبل، فلا يزال أمامها الكثير. ومن ثم فإن القول بوجود اتصال بين السماء والأرض، بين العالم العلوي وعالم الإنسان أمر ممكن.

٣- إن معرفتنا بالكون وبطبيعة مخلوقاته، بل وعددها ضئيلة جداً، ولذا فمن التسرع انكار وجود مخلوقات ملائكية تقوم بدور الوسيط بين الله وبعض البشر، فهل نحن جُبنا الكون

وحصرنا مخلوقاته، ثم لم نجد من بينها ملائكة؟

أما في فيما يخص مسألة المعجزات فيذهب الخشت في تفسير المعجزات إلى النص القرآني، إذ يجد أن القرآن وإن كان يعترف بمعجزات الأنبياء السابقين، فإنه رفض مراراً طلب المشركين للرسول بأن يأتي بالمعجزات؛ لأن في ذلك نوعاً من الجحود العقلي للحق الذي ينبغي أن يدرك بوسائل عقلية، وليس بوسائل حسية خارجية وهي المعجزات، فضلاً عن تأكيد القرآن بعدم خرق قوانين الطبيعة[٣٥].

فلا تصبح المعجزات خرقاً لقوانين الطبيعة الثابتة بل خرقاً لما تعود عليه الناس بحسب الموقف القرآني لتفسير المعجزات، إذن هي خرق لعادات الناس المألوفة في التعامل مع الطبيعة، فالمعجزات تنطوي على تحدٍّ لقدرات الناس ومعارفهم المقيدة بعلم عصرهم في التعامل مع الطبيعة، وليست تحديا لقوانين الطبيعة، ويرى الخشت القرآن أكبر معجزة عقلية قدمها الله سبحانه للبشر، فهو بحد ذاتهِ شيء معجز لا يمكن الإتيان بمثله[٣٦].

ثالثاً: مفهوم الوحي والنبوة والمعجزات عند مصطفى النشار:

تشكل قضية الوحي أهم القضايا وأخطرها في فلسفة الدين وما ارتبط بها من وجود النبوة والرسل، وكذلك ما ارتبط بهما فيما يسمى بالمعجزات. إن هذه المفاهيم الثلاثة ارتبطت ارتباطاً وثيقاً مع بعضها البعض، ارتباطاً لا ينفصل عموما مع فلاسفة الدين ولاسيما مع فلسفة الأديان السماوية؛ لأنها الديانات التي ظهر فيها الوحي بشكل واضح، إذ كان الوسيط بين الله والنبي المرسل وبين المؤمنين بهذه الديانة السماوية، وعادة ما نجد بعض البشر ينظرون إلى كل ما هو خارج عن المألوف على أنه معجزة، فقد انتظروا من هؤلاء الرسل والأنبياء الاتيان بالمعجزات أو الخوارق. وينبه النشار إلى أن الأديان السماوية واتباعها ليسوا هم من تحدث عن الوحي والمعجزات فحسب، بل نجد كثير من الديانات سواء أكانت طبيعية أم فلسفية أم أخلاقية تحدث عنهما، أو عادة ما تقوم على الاعتقاد فيما وراء الطبيعة من ألوهية ينتظرون منها دائماً التدخل لتوجيه أو تثبيت إيمانهم عن طريق الخوارق والمعجزات. ولهذا يقوم النشار بطرح سؤاله: ماذا يعني الوحي؟ وماذا تعني النبوة؟ وما المعجزة؟ سواء بمعناها الطبيعي أم الديني؟[٣٧]. يبحث النشار في موضوع الوحي عنما إذا كان الوحي موجودًا قبل الديانات السماوية أم لا، وبعد التقصي تاريخياً ينبه إلى ضرورة التمييز بين الوحي في الأديان التوحيدية وبين رؤى الحكماء وإلهاماتهم ودياناتهم، فالوحي الإلهي في الديانات السماوية يتلقاه الأنبياء والرسل عن طريق الملائكة ومن ثم يبلغ الرسل أقوامهم، وما نجده في الديانات ذات الطابع الفلسفي والأخلاقي في الشرق الأقصى لم تكن لديهم ظاهرة النبوة، وكان البديل طبقة الحكماء، والحكماء هم بدورهم عدّوا مصدر الحكمة التي يحصلون عليها عبر مجهودهم التأملي في الكون[٣٨]. أما فيما يخص الوحي في الأديان السماوية،

فيرى النشار أن الوحي مسألة مرتبطة أشد الارتباط بالنبوة، والأنبياء هم أولئك الأشخاص من البشر الذين اصطفاهم الله وفضلهم على سائر البشر، وعلامة هذا الوحي يستمدها النشار من ابن خلدون، إذ يكون الأنبياء مفطورين على معرفتهِ(الوحي) وجعلهم بهذا الخطاب وسائل بينهم وبين عباده يعرفونهم بمهاتهم ويحرضونهم على هدايته "أن يوجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين معهم مع غطيط كأنه غشي أو إغماء في رأي العين وليست منهما في شيء، وإنما هي في الحقيقة استغراق في لقاء الملك الروحاني بإدراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية، ثم ينزل إلى المدارك البشرية، إما بسماع دوي من الكلام فيتفهمه، أو يتمثل له في صورة شخص يخاطبه بما جاء به من عند الله، ثم تنجلي عنه تلك الحال وقد وعى ما ألقي إليه"[٣٩]. وأما عن صعوبة حالة الوحي فيعلله ابن خلدون بأنه "حالة مفارقة البشرية إلى المدارك الملكية وتلقي كلام النفس فيحدث عنه شدة مفارقة الذات وانسلاخها عنها من أفقها إلى ذلك الأفق الآخر"[٤٠].

ويذهب فيلون الاسكندري للتعبير عن هذا الانسلاخ، فيرى أن حالة الوحي هي انسلاخ عن البشرية لارتياد الأفق الآخر، إذ يرى بأنه لا يكفي أن يتحرر الإنسان من الحواس أو الشهوات لكي يحدث الوحي، وإنما يجب أن يخرج من ذاته، فالعقل والوجدان الشخصي منعدمان في حالة النبوة، فالإنسان في هذه اللحظة لا يعرف أي مكان يوجد وأي أناس محيطين بهِ، ففي حالة الوحي يطرد الكائن الإلهي الإنسان ويحل محله ليعبر عن نفسه بصور عدّة، فتارةً يكون التعبير عن طريق صوت داخلي يملأ النفس، وتارةً على شكل فكرة تعبر عن ذاتها بدورها عن طريق الكلام، وتارةً أخرى تتخذ شكل كلام ملفوظ أصله مختلف عن الفكر وأكثر من ألوهية[٤١].

وخلاصة القول: " إن الوحي هو كلام الله الذي يلقيه مقروءاً أو مسموعاً على أحد أنبيائه أو رسلهِ وما مهمة الرسول أو النبي إلا إبلاغه للبشر"[٤٢]. فللوحي إذن ثلاثة عناصر[٤٣]:

١. مصدر الوحي: الله.
٢. مضمون الوحي، وهو كلام الله سواء جهراً أو عن طريق وسيط.
٣. متلقي الوحي وهو النبي أو الرسول.

وبهذا نجد مدى ارتباط الوحي بالنبوة "فلا نبوة بدون وحي ولا وحي بدون نبوة فهما حدان متضايفان، وهما يفصلان تماماً بين هذا الصنف من البشر المقرب من الله والذي تلقى عنه مباشرة صنف الأنبياء والمرسلين وبين بقية البشر الذين كان عليهم إما تصديق الوحي والإيمان بما ينقله النبي أو الرسول؛ ومن ثم يكونوا أتباعا لهذا الدين أو لا يصدقون به؛ ليخرجوا عن دائرة الإيمان بهذا الدين أو ذاك من الأديان الموحى بها، وهي في اعتقادي الشخصي تقتصر على الأديان الإبراهيمية الثلاثة: (اليهودية والمسيحية والإسلام)"[٤٤].

أما بالنسبة للمعجزات فيرى النشار أن المعجزات مرتبطة في فلسفة الدين بظاهرتي الوحي والنبوة؛ لأنها تارةً تعد شرطاً من شروط تصديق النبوة والوحي، وتارةً أخرى لا تعد شرطاً لتصديق النبي أو الوحي؛ وذلك لأن الرسالة التي يحملها النبي أو الوحي تحمل مبدأ صدقها من داخلها، ومن أخلاق الصدق والأمانة التي يتحلى بها من ينقلها(٤٥).

وفي نظر النشار في موضوع المعجزات أن الطبيعة خلقها الله على هذا النحو المنظم الدقيق الذي ترتبط فيه العلل بالمعلولات، وبما لا يسمح بخرقها إلا كفعل استثنائي يرتبط بخالقها نفسه. ولا ينبغي بأي حال الربط بين ضرورة المعجزات لتصديق النبوات أو التصديق بالوجود الإلهي. فالله والعناية الإلهية لا يمكن أن يعرفا بضدهما؛ لأن من عناية الله وضعه هذه السنن في الطبيعة بما يسمح للحياة البشرية أن تستمر في كشف العلل وتفسير الظواهر؛ ومن ثم كشف حكمة الطبيعة، وهي بتعبير سبينوزا أن قوة الطبيعة وقدرتها هي قوة الله وقدرته. فكيف لنا أن ننتقص من هذه القدرة سواء بإثبات المعجزات أو بإنكارها(٤٦). ويرى النشار أن المعجزة هي "فعل الله في الطبيعة بشكل إن لم نفهمه الآن فربما نفهمه غداً. إنها شيء طبيعي لا نملك له تفسيراً في حينه. وبوجه عام فإن قدرة الله وسعت كل شيء، ويمكنها من داخل الطبيعة أو من خارجها تغير كل شيء، لكن الله لا يفعل ذلك إلا باستثناءات قليلة وردت في الكتب المقدسة، ولم تعد هذه الاستثناءات ممكنة الآن، لأن معجزة الله الأخيرة للبشرية كانت في نبوة محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وفي القرآن الكريم. إن البشرية الآن بقوة الله وإرادته هي ما تصنع المعجزة تلو المعجزة بالتقدم العلمي وكشف أسرار الكون واحد بعد آخر" (٤٧).

الخاتمة:

ختاماً يمكن القول إنَّ موضوع البحث قد حمل الكثير من التساؤلات حول ماهية العلاقة بين كل من الوحي والنبوة والمعجزات ويمكن تسجيل بعض النتائج التي خرجنا بها في دراستنا ومنها، أن الوحي عند أديب صعب ومحمد عثمان الخشت أمر ضروري وممكن الحصول، فلا وجود لاستحالة منطقية تمنع مخاطبة الله لرسله، وأما مصطفى النشار فكان له رأي اخر، هذا الرأي يصب في ضرورة التمييز بين الوحي المرسل للأنبياء اصحاب الديانات السماوية، وبين الرؤى التي يلقيها الحكماء والملوك والخطباء، وهذا ما يحرض النشار إلى القول بأن لا ضرورة منطقية من ارتباط الوحي بالنبوة. وفيما يخص المعجزات يُعرف الكتّاب العرب المعاصرين المعجزات بأنها: القانون الطبيعي ذاته وليس كما هو متعارف عليه بأنها خرق للقانون الطبيعي، وهي أيضاً خرق للعادات المألوفة في التعامل مع الطبيعة، وهي أيضاً فعل الله في الطبيعة، وقد يكون دور المعجزة هو أثبات نبوة شخص ما أو الأعلاء من مكانته بين سائر الناس، أو أثبات قدرة الله على خلقه، أو التماس عبرة أو

رسالة موجه من الله إلى خلقه.

هوامش البحث :

(١) ابن منظور: لسان العرب، المجلد الخامس عشر، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٣٧٩.

(٢) الأصفهاني، الراغب: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ١٩٦٩، ص٨٥.

(٣) جرادي، شفيق: مقاربات منهجية في فلسفة الدين، معهد المعارف الحكمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ص٢٣٤.

(٤) صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج٢، دار الكتاب، الشركة العالمية للكتاب، الدار الإفريقية العربية، دار التوفيق، بيروت، ١٩٩٤، ص٢٣١.

(٥) زيادة، معن: الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٦، ص٨٤٠.

(٦) المصدر نفسه، ص٨٤٠.

(٧) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، المجلد الخامس عشر، ص٣٠٢.

(٨) ينظر: الآملي، عبد الله الجوادي: الوحي والنبوة، دار الإسراء للنشر، قم المقدسة، ط١، ١٤٨٧هـ.ش، ص١٧- ٢٥.

(٩) صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج٢، ص٣٩١.

(١٠) المصدر نفسه، ص٣٩١.

(١١) ينظر: صعب، أديب: دراسات نقدية في فلسفة الدين، دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٥، ص٥٥-٦٤.

(١٢) المصدر نفسه، ص٦٦-٦٧.

(١٣) ينظر: صعب، أديب: المقدمة في فلسفة الدين، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٤، ص١٧٥-١٧٦.

(١٤) المصدر نفسه، ص١٧٧-١٧٨.

(١٥) المصدر نفسه، ص١٨١.

(١٦) المصدر نفسه، ص١٨٣.

(١٧) المصدر نفسه، ص١٨٥-١٨٧.

(١٨) لوقا: ١٧: ٢٠-٢١.

(١٩) ينظر: صعب، أديب: المقدمة في فلسفة الدين، ص١٩١-١٩٢.

(٢٠) ينظر: مكارم، سامي: لقاء في العمق مع أعلام التصوف، بحث منشور في كتاب: وحدة في التنوع (محاور وحوارات في الفكر الديني)، دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ص٢٢٤.

(٢١) صعب، أديب: المقدمة في فلسفة الدين، ص١٩٥.

(٢٢) مكارم، سامي: لقاء في العمق مع أعلام التصوف، بحث منشور في كتاب: وحدة في التنوع، ص٢٢٤.

(٢٣) صعب، أديب: المقدمة في فلسفة الدين، ص١٩٥.

(٢٤) ينظر: الخشت، محمد عثمان: مدخل إلى فلسفة الدين، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١، ص٨٧.

[٢٥] ينظر: الخشت، محمد عثمان: العقائد الكبرى (بين حيرة الفلاسفة ويقين الأنبياء)، دار الكتاب العربي، ط١، دمشق_ القاهرة، ٢٠١٠، ص١٦٥-١٦٦.

[٢٦] ينظر: الخشت، محمد عثمان: تطور الأديان (قصة البحث عن الإله)، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط١، ٢٠١٠، ص١٧١.

[٢٧] ينظر: الخشت، محمد عثمان: العقائد الكبرى (بين حيرة الفلاسفة ويقين الأنبياء)، ص١٧٥.

[٢٨] ينظر: الخشت، محمد عثمان: مدخل إلى فلسفة الدين، ص٩١.

[٢٩] ينظر: الخشت، محمد عثمان: العقائد الكبرى (بين حيرة الفلاسفة ويقين الأنبياء)، ص١٧٦.

[٣٠] إنجيل يوحنا، الإصحاح الأول، الآيات ١-٥.

[٣١] المصدر نفسه، الآية ١٤.

[٣٢] ينظر: الخشت، محمد عثمان: مدخل إلى فلسفة الدين، ص٩٣.

[٣٣] الخشت، محمد عثمان: العقائد الكبرى (بين حيرة الفلاسفة ويقين الأنبياء)، ص١٧٧-١٧٨.

[٣٤] المصدر نفسه، ص١٨٠.

[٣٥] ينظر: الخشت، محمد عثمان: مدخل إلى فلسفة الدين، ص ١٠٥.

[٣٦] ينظر: الخشت، محمد عثمان: العقائد الكبرى (حيرة الفلاسفة ويقين الأنبياء)، ص ١٩٨-١٩٩.

[٣٧] ينظر: النشار، مصطفى: مدخل جديد إلى فلسفة الدين، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط٢، ٢٠١٥، ص٢٢٧.

[٣٨] المصدر نفسه، ص٢٢٨-٢٣٠.

[٣٩] ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص٧٣.

[٤٠] المصدر نفسه، ص٨٠.

[٤١] ينظر: برييه، إميل: الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الاسكندري، ترجمة: محمد يوسف موسى وعبد الحليم النجار، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٤، ص١٠٥.

[٤٢] النشار، مصطفى: مدخل جديد إلى فلسفة الدين، ص٢٣٣.

[٤٣] المصدر نفسه، ص٢٣٣.

[٤٤] المصدر نفسه، ص٢٣٤.

[٤٥] المصدر نفسه، ص٢٤٥.

[٤٦] المصدر نفسه، ص٢٥٤-٢٥٥.

(٤٧) المصدر نفسه، ص٢٥٥.

قائمة المصادر والمراجع:

- الكتاب المقدس.

١. الخشت، محمد عثمان: العقائد الكبرى (بين حيرة الفلاسفة ويقين الأنبياء)، دار الكتاب العربي، دمشق_ القاهرة، ط١، ٢٠١٠.
٢. الخشت، محمد عثمان: تطور الأديان (قصة البحث عن الإله)، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط١، ٢٠١٠.
٣. الخشت، محمد عثمان: مدخل إلى فلسفة الدين، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١.

٤. صعب، أديب: المقدمة في فلسفة الدين، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٤.
٥. صعب، أديب: دراسات نقدية في فلسفة الدين، دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٥.
٦. صعب، أديب: وحدة في التنوع (محاور وحوارات في الفكر الديني)، دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.
٧. النشار، مصطفى: مدخل جديد إلى فلسفة الدين، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط٢، ٢٠١٥.
٨. الآملي، عبد الله الجوادي: الوحي والنبوة، دار الإسراء للنشر، قم المقدسة، ط١، ١٤٨٧هـ.ش.
٩. ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
١٠. الأصفهاني، الراغب: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ١٩٦٩.
١١. جرادي، شفيق: مقاربات منهجية في فلسفة الدين، معهد المعارف الحكمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
١٢. برييه، إميل: الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الاسكندري، ترجمة: محمد يوسف موسى وعبد الحليم النجار، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٤.
١٣. ابن منظور: لسان العرب، المجلد الخامس عشر، دار صادر، بيروت، د.ت.
١٤. زيادة، معن: الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٦.
١٥. صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج٢، دار الكتاب، الشركة العالمية للكتاب، الدار الإفريقية العربية، دار التوفيق، بيروت، ١٩٩٤.

Abstract :

In this research, we have attempted to shed light on one of the main topics dealt with by the philosophy of religion, revelation, prophecy and miracles. I will focus on this research on the most important aspects of the study of contemporary Arab writers: Adib Saab, Sawdust. The central question we will ask is: Is revelation possible? Is prophecy translated and miracles? What is the validity of revelation and prophethood miracles? Are miracles only for prophets? Or else? We find that the writer is difficult to prove the issue of revelation through the statement of the quality of the divine discourse directed to humans from the tongue of God, and on the issue of miracles in the opinion of Adib Saab that miracles (wonders) is only the natural law itself. Al-Khasht agrees with the view that revelation and prophecy can be obtained. There is no logical impossibility in addressing God to His creatures, and if the quality of the speech directed by God differed to His creatures, either in the matter of miracles he goes on to say that miracles are not a creation of natural law, Which is familiar with nature, and while we find Nashar goes to support the issue of revelation, but warns of the need to distinguish between revelation in monotheistic religions and visions of the ruling. As for the issue of miracles, the narration is either a reason to prove the prophecy of a prophet or to prove a wisdom. Miracles are nothing but God's act in nature, and if we do not understand it now we may understand it tomorrow.